الفصل الأول

المخدّرات

- **نبذة تاريخية ..**
- **تعريفها ..**

تعتبر ظاهرة المخدرات من الظواهر القديمة التى عرفت منذ آلاف السنين ، فقد عرف الانسان بعض النباتات والأعشاب واستعملها كعلاج أحيانا ، وفى بعض الطقوس السحرية أحيانا أخرى ، وحينما انتبه العلماء الى تأثير هذه النباتات ، قاموا بتحليلها واستفادوا منها فى أغراض طبية وعلاجية ، مثل تخفيف الآلام المرضية او لاجراء العمليات الجراحية .

وقد قامت زراعة بعض هذه النباتات ، لاستخلاص المواد الفعالة منها وتصنيعها بما يخدم الأغراض الطبية والعلاجية(١) .

وهى بهذا تعتبر من اقدم العقاقير التى عرفها الانسان ، فقد عرف الحشيش منذ فجر التاريخ ، وكان الغرض من زراعته : استخدام أليافه فى صنع الحبال ونسج الأقمشة ، كما استعمل كدواء مسكن ، وقد بدأ استعمال الحشيش كمخدر فى القرن العاشر بعد الميلاد ، وانتشر تدريجيا بدرجات مختلفة ، فى كثير من دول العالم(٢) .

وعلى الرغم من ان الأوروبيين يعتقدون بأن موطن الحشيش هو الشرق الأوسط ، الا أن الحشيش عرف منذ القدم فى مناطق مختلفة من

---

(١) صلاح يحياوى ، المخدرات ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ص ٨ : ١٥ .

(٢) عبد الرحمن مصيقر ، ظاهرة تعاطى الخمور والمخدرات فى البحرين ـ البحرين ، ١٩٨١ ص ٥ .

العالم ، حيث عرفه الآشوريون ، والرومان والفرس وقدماء المصريين ، كما انه كان معروفا عند الهنود والصينيين منذ عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد ، وعرف فى المـانيا فى عام ٥٠٠ قبل الميلاد ٠

اما الخشخاش (الأفيون) فقد كان أول من عرفه هم سكان وسط آسـيا ، ومنهم انتشر الى جميع بقاع العالم فاستخدمه السومريون ، ومن بعدهم البابليون والفرس ، ثم انتقل الى المصريين القدماء والاغريق ، كما استخدمه الصينيون والهنود ٠

وهو نبات حولى من رتبة روداليز (Rhoeadales) ، ازهاره مفردة زاهيـة اللون ، حشرية التلقيح ، وثمرته متفتحة ، اشـبه بعلبة ذات ثقوب علوية ٠

وقد ظل الخشخاش يزرع فى مصر حتى عام ١٩٢٦ ، الى ان صدر قانون يحرم زراعته ، وان كان زارعوه قد اسـتمروا فى نشاطهم فترة طويلة باستخدام الحيل المختلفة ، مثل زراعته متفرقا فى حقول الذرة والقصب خشية اكتشاف رجال الأمن لنباته(٣) ٠

وقد استعمل لعلاج بعض الأمراض ، مثل وقف حالات الاسهال ، ومنـذ القرن الثالث قبل الميـلاد استحضر الترياق من الخشخاش الذى اشـتهر اهداؤه الى الملوك والأمراء ، ويعتبر الترياق أكثر التحضـيرات الدوائية عمرا على الاطلاق ، وكانت الاحتفالات السنوية تقام فى مواسم تحضير الترياق فى القاهرة والقسطنطينية والبندقية ، حيث كانت تجارة الأدوية والتوابل تمر من الشرق الى الغرب(٤) ٠

ولا زال تعاطى الأفيون حتى الآن ، وعند كثير من الشعوب يستخدم فى الطب الشعبى كعلاج لكثير من الأمراض ، كما هو الحال فى الهنـد

---

(٣) حسن فتح الباب ، سـمير عياد ، المخدرات سلاح الاسـتعمار والرجعية ، القاهرة دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧ ص ٧ ، ٨ ٠

(٤) عبد الرحمن مصيقر ، الشباب والمخدرات فى دول الخليج العربى ، البحرين ١٩٨٥ ص ١٧ ٠

وعند شعوب شرق آسيا وجنوبها ، وفى مصر أيضا ، وخاصة فى ريف الصعيد ، ولا زال يوصف أيضا كعلاج شعبى لبعض الأمراض ، كما يوصف مسكنا لبعض الآلام مثل : حالات الاسهال ، والدوسنتاريا ، والرشح ، وآلام المفاصل والروماتيزم وآلام الانسان والبرد والرعشة والمغص ، فضلا عن التعاطى ، لأغراض الكيف ، وتحقيق الشعور بالنشوة ، والراحة ، وتحمل العمل ، والنشاط الناتج عن حالة الاعتماد الفسيولوجى على المخدر بسبب الادمان(٥) ٠

وفى عام ١٨٠٦ م تمكن أحد العلماء الألمان « سيرتيرنر » من فصل مادة المورفين عن الأفيون ، وأطلق عليها هذا الاسم ، نسبة الى مورفيوس ، اله الأحلام فى الأساطير الاغريقية ، كما تمكن عالم انجليزى فى عام ١٨٩٨ م من استخلاص مادة الهيروين ، وبدأ انتاجه تجاريا ، ثم توالى بعد ذلك انتاج مركبات أخرى من مستخلصات الأفيون ، وتستخدم جميعها كأدوية علاجية ، وان كان الأطباء لا ينصحون بها الا عند الضرورة القصوى ، لما تسببه من ادمان ، واستيلاء على شخصية المتعاطى(٦) ٠

كما عرف الكوكايين أيضا منذ ٥٠٠ عام قبل الميلاد ، فى أمريكا الجنوبية ، حيث كان هنود الانكا يمضغون أوراق الكوكا الذى كان ينمو فى هذه المنطقة وكان يباع فى الصيدليات فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وبدون وصفات طبية ، وذلك لتخفيف الآلام ، كما استخدمه الأطباء كمخدر موضعى فى بعض العمليات الجراحية ، وبعد ما ثبتت خطورته ، استحدموا بدلا منه مواد تخديرية موضعية مصنعة أخرى ، غير مسببه للادمان مثل البروكائين ٠

ثم تطورت أساليب التخدير بعد ذلك ، الى استخدام مركبات كيمائية لها نفس فعالية هذه المواد ، وعرفت باسم المواد التحليقية (المخدرات البيضاء) نسبة الى لونها ، حيث تم اكتشافها فى

---

(٥) سعد المغربى ، سيكلوجية تعاطى الأفيون ومشتقاته ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ص ١٢ ، ١٣ ٠

(٦) حسن فتح الباب ، سمير عياد ، مرجع سابق ص ٨ ، ٩ ٠

عام ١٩٣٦ م عندما أمكن تركيب مادة (البيتدين) المخدرة ، وكانت آثارها شبيهة بآثار المورفين ، ثم أعقب ذلك سيل لا حصر له من هذه المواد ، ولم يكن الغرض من تصنيعها التعاطى ، بل كان علميا بحتا ، وبالتطور الحتمى للعلوم الكيمائية والطبية ، ظهر العديد من أنواع العقاقير المهدئة (Tnanqilizers) ، والعقاقير المنومة (Barbiturates) والعقاقير المنشطة (Amphitamins) ولها من خاصية الادمان ما يمكن أن يجعلها مجالا فسيحا للتجارة غير المشروعة .

وتقسم المواد المخدرة البيضاء الى ثلاثة أقسام :

١ ـ مواد مورفينية أو طبيعية .
٢ ـ مواد مخدرة بيضاء تخليقية .
٣ ـ عقاقير مهدئة أو منومة أو منشطة (٧) .

وفى الآونة الأخيرة ، اكتشف الكثير من العقاقير الكيميائية المؤثرة على النفس ، ويعتبر عقار (ال . اس . دى) هو اول العقاقير الكيمائية التى كان لها تاثير بالغ على عقل الانسان ، ومراكز التحكم فى المخ(٨) .

وقد كانت المخدرات البيضاء بعيدة كل البعد عن مصر ، الا أن انتشار صناعتها وترويجها فى بعض بلاد الشرق الأوسط عامة ، وبعض الدول العربية ، شجع بعض المهربين على مزاولة تجارتها ، ففى اعقاب الحرب العالمية الأولى مارس المهربون نشاطهم على أوسع نطاق ، حتى أن هذه المخدرات ، كانت تنقل من مصانعها فى تركيا وفرنسا وايطاليا مباشرة الى مصر .

وفى السنوات التى أعقبت حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، قل المعروض فى مصر من الحشيش والأفيون ، نتيجة اغلاق الطريق البرى عبر

---

(٧) حسن فتح الباب ، سمير عياد ، مرجع سابق ص ١٨ ، ١٩
(٨) محمد رفعت ، ادمان المخدرات ، أضرارها وعلاجها ، بيروت ، دار المعرفة ١٩٨٠ ، ص ١٥٠

سيناء ، وترتب على ذلك ظهور مواد مخدرة أخرى ، تؤثر على الحالة النفسية ، وكان بعضها من مجموعة الباربيتورات ، وخاصة الميثاكوالون ، والبعض الآخر من مجموعة الامفيتامينات ، وخاصة الماكستون فورت ، وديكسامفيتامين .

أما مجموعة المهلوسات فلم يتم اساءة لاستعمالها فى مصر ، وانتشر تعاطى هذه المواد انتشارا سريعا لوفرتها فى الأسواق ، ورخص ثمنها ، وعدم تجريم الجانب الأكبر منها ، واغلب هذه المواد كان استخدامها مقصورا على علاج بعض الأمراض ، مثل السمنة والاكتئاب النفسى والقلق والتوتر العصبى والأرق ، كما كان الشباب يستخدمونها أثناء الاستذكار أو العمل أطول فترة ممكنة ، وقد جاء وباء تعاطيها مع عودة الشباب الذين سافروا الى الخارج للعمل أثناء الاجازة الصيفية ، وكانت هذه المواد فى شكل اقراص ، مما جعلها تسمى : بالأقراص المخدرة .

وقد حدثت تغييرات بعد ذلك على موقف المخدرات فى مصر ، حيث عاد الهيروين الذى أنهك مصر فى الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية فقد ضبطت أجهزة المكافحة (١٤) أربعة عشر قضية فى الاسكندرية وحدها فى عام ١٩٨٢ وصل وزن المضبوطات فيها الى ٤٦٩ جراما ، الى أن تطورت الأمور فى عام ١٩٨٥ ، حيث وصلت المضبوطات الى (٥٥) خمسة وخمسين كيلو جرام تقريبا .

وقد تم تهريب الهيروين الى مصر عن طريق العائدين من الدول الأوروبية ، وهو يعتبر من أكثر العقاقير المسببة للموت فى أمريكا وأوروبا ، وكما عاد الهيروين الى الظهور ، عاد الكوكايين أيضا (٩) . حيث وجد هذين النوعين من السموم سوقا رائجة . وذلك بسبب التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى المجتمع المصرى ، وخاصة بين طائفة

---

(٩) محمد فتحى عيد ، تجارة الهيروين والكوكايين فى مصر والعالم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ، ص ١٩ : ٢٥

الأثرياء (الجدد) من أفراد المجتمع ، وكانت سوق هذه المخدرات محدودة ومحصورة منذ البداية ، وخاصة بين أولئك الذين استطاعوا تكوين بعض الثروات المفاجئة ، من الاتجار فى السوق السوداء ، والمضاربات العقارية وتجارة العملة . والاستيراد والتصدير .... الخ . مما جعل السيولة النقدية أكثر انسيابا بين أيدى هؤلاء ، وان كان قد لازمها تخلف تعليمى وثقافى ، مما جعل البنية الاجتماعية المصرية تتعرض لنوع من الخلل مفاده : أن الذين يملكون لا يعلمون ، وأن الذين يعلمون لا يملكون ، أى أن الثروة هنا ارتبطت بالتخلف التعليمى والثقافى ، وبالتالى فقدت وعيها الاجتماعى ، وعندما تفقد الثروة وعيها الاجتماعى ، فانها تظل حبيسة الجهل بمضامينها الاجتماعية والاقتصادية ، فلا تتقدم للمساهمة فى مشروعات اقتصادية أو خدمية تفيد المجتمع ، بقدر ما تحقق أهدافا استهلاكية ، فردية ، ومظهرية لأصحابها .

ثم أخذت هذه السموم البيضاء تنتشر بعد ذلك بين فئات الشباب ، وجماعات الفنانين السينمائيين الذين يحصلون أيضا على أجور مرتفعة ، ولم يلبث مروجو السموم البيضاء أن انتجوا أنواعا رديئة من هذه السموم ، لتكون رخيصة الثمن نسبيا ، وهكذا انتشرت بين قطاعات لا يستهان بها من الأفراد فى مصر .

ويمكن القول : أن استخدام المخدرات البيضاء ، قد بدأ أولا كنوع من أنواع الاستهلاك الترفى التفاخرى للمخدر ، وذلك للقادرين ، ثم تحول بعد ذلك فى اتجاهات أخرى ، وتحول التظاهر ، والترف والتفاخر الى ادمان ومدمنين .

* * *

ماهية المخدرات .. والمفاهيم المرتبطة بها

بعتبر تعاطى المخدرات من أخطر الظواهر الاجتماعية والصحية على معظم المجتمعات البشرية التى يسود فيها ، لما له من أضرار نفسية

وصحية خطيرة ومدمرة للفرد والمجتمع ، ومن أجل هذا فهى تستحوذ على اهتمام وعناية الباحثين فى كل مكان ، كما أنها أصبحت شاغلا رئيسيا لكل أجهزة الأمن فى العالم ، لما لهذه المواد السامة من آثار مدمرة على حياة الانسان والمجتمع . حيث أنها من الأوبئة التى لا يقف ضررها على من يتعاطاها فقط ، بل تتجاوزه دائما لتلحق الضرر بأسرته وبمجتمعه بشكل عام .

ويبدو أن التقدم التكنولوجى المعاصر لم يقتصر استخدامه فى مجال التقدم العلمى والصناعى والزراعى فقط ، وانما امتد ليشمل صناعة أسلحة الدمار والموت للانسان ، فكما يتم تصنيع كل أدوات الدمار بما فيها القنابل الجرثومية وأدوات الحرب الكيماوية ، فانه أيضا يساعد على تصنيع وتخليق أنواع أخرى من المخدرات ، تؤدى نفس الأضرار التى تلحق بالانسان والمجتمعات البشرية .

فالمخدر النباتى ، كان الى وقت قريب يمكن علاج مدمنيه طبيا ، ولكن المخدرات الصناعية ، يصعب الآن علاجها ، لأن من يدمنها ، يجد هو وأسرته صعوبة ضخمة فى العلاج منها ، لأن هذه المخدرات تضرب المراكز الحساسة فى المخ ، وتدمر بعض الخلايا الحساسة فى الجهاز العصبى ، ولا يكون للمدمن مخرجا منها فى أغلب الأحوال الا الموت البطىء ، بعد أن يصاب المدمن بأمراض متنوعة : منها أمراض فقدان المناعة ، والتشوه الخلقى ، وضمور الأعضاء .

ويمكن القول : أن دراسة أنواع المخدرات المعاصرة ، والتحذير منها ، لا يدخل فقط فى مجال البحث الاجتماعى ، ولكنه أيضا نوع من أنواع الدفاع الاجتماعى ، التى يجب علينا نحن الاجتماعيين أن نتعقبها بمختلف الوسائل والأساليب العلمية .

* * *

● ما هى المخدرات .. ؟

اشتقت كلمة مخدرات من الكلمة اليونانية (Mark) ومعناها النوم ، وقد كان سوء استخدام الأفيون هو المظهر الأساسى للادمان فى

العصـور القديمة ، ولعل هـذا هو الذى حـدد الاصطلاح ، فالأفيون يؤدى الى حالة من الاسـترخاء والنوم ، أما الاصطلاح الحالى للمخدرات ، فانه يضم أنواعا أخرى من العقاقير شـديدة التأثير مثل الكوكايين ، مع أنها لا تؤدى الى الاسـترخاء والنوم وانما تعطى تأثيرا مغايرا تماما(١٠) .

والتعريف القانونى للمخدرات ، يشـير الى أن هنـاك مجموعة من المواد تسبب الادمان ، وتسـمم الجهاز العصـبى ، ويحظر تداولهـا أو زراعتها أو تصنيعها الا لأغراض يحددها القانون ، ولا تسـتعمل الا بواسـطة من يتم الترخيص له بذلك ، وتشـتمل هـذه المواد على الأفيـون ومشـتقاته ، والحشيش وعقاقير الهلوسـة والكوكايين والمنشطات ولكنها لا تضيف الخمر والمهدئات والمنومات ضمن المخدرات ، على الرغم من أضرارها ، وقابليتها لاحداث الادمان(١١) .

واقتصر اسم المخـدر (Drogue) فى المـاضى على المخدرات التقليدية التى تشـمل الأفيون ومشتقاته ، ثم أضـيف الكوكا والقنب الهنـدى الى القائمة .

وقـد تعددت الآراء حول ماهيـة المخدرات ، فقـد عرفتها لجنـة المخدرات بالأمم المتحدة بأنها : كل مادة خام أو مستحضرة تحتوى على عناصر منومة أو مسكنة ، من شـأنها عنـد استخدامها فى غير الأغراض الطبية أو الصناعيـة أن تؤدى الى حالة من التعود أو الادمان عليها ، مما يضر بالفرد والمجتمع جسمانيا ونفسيا واجتماعيـا .

● والمخـدر هو كل مادة ينتج عن تعاطيها فقـدان جزئى أو كلى للادراك بصفة مؤقتة ، وتحدث فتورا فى الجسـم ، وتجعـل الانسـان يعيش فى خيـال واهم طوال فترة وقوعه تحت تأثيرها(١٢) .

---

(١٠) سيف الدين حسين شاهين ، المخدرات والمؤثرات العقلية ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٥

(١١) سـلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، المخـدرات والعقاقير المخدرة ، الكتاب الرابع ، الرياض ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٠

(١٢) عبد الرحمن عبد القادر موسى ، المواد المخـدرة وطرق مكافحتها ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٩

وتعنى كلمة مخدر فى اللغة العربية اسم فاعل من خدر ، ومصدره التخدير منها : الفتور والكسل والتحير الذى يعترى الشارب عندما يبدأ فى السكر ، ومنها ، فتور العين أو ثقلها ، من قذى ونحوه .

وهذه المعانى جميعها متحققة فى الانسان المخدر ، حيث يبدأ التأثير عنده بفتور فى أطرافه ، وتحير فى تصرفاته ، وتكاسل عن القيام بأعماله ، ثم لا يلبث أن تعترى عقله الظلمه التى تستره عن معرفة حقائق الأشياء وحينئذ تسكن روحه ، ويذبل نشاطه ، ويتخلف عن مواكبة المجتمع(١٣) .

كما تعنى كلمة مخدر فى اللغة : ما يؤدى بالانسان الى افتقاده قدرة الاحساس لما يدور من حوله ، أو ما يؤدى به الى النعاس والنوم ، وفى الحقيقة : أن « اللفظ مخدر » لغويا أصبح لا يفى الآن بالغرض ، لأن العقاقير التى ساء استخدامها ، من الممكن أن تكون أكثر ايضاحا وشمولا ، حيث أن المنشطات أو المنبهات ، لا يمكن وضعها تحت مسمى مخدرات(١٤) .

الا أن كلمة مخدر فى اللغة العربية تعتبر أكثر دقة ودلالة من الكلمة المقابلة لها فى اللغة الفرنسية والانجليزية (Drug) لأنها تعنى من الناحية العلمية : العقار أو أى مادة يستخدمها الأطباء أو الباحثين فى علاج الأمراض ، أو فى مجال فسيولوجيا الكائن الحى ، ولكن كلمة عقار تستخدم ـ فى نفس الوقت ـ بمعنى المخدر ذى الخصائص المعروفة فى التنبيه ، كما يرتبط استعمالها بالوصمة وعدم القبول من حيث هى مواد ضارة بالفرد ، وغير مقبولة اجتماعيا ، وهكذا نجد أن لها معنيان فى اللغات الأجنبية .

---

(١٣) أحمد على طه ريان ، المخدرات بين الطب والفقه ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٤ ، ص ٧ ، ٨

(١٤) زين العابدين محمد مبارك ، الكشف عن المخدرات بالوسائل العلمية ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، ص ١٣

والتعريف الكيميائى للمخدرات (Narcotics) هو : انها عبارة عن مواد كيمائية ، تسبب النوم ، وغياب الوعى المصحوب بتسكين الألم ، لذلك توصف بعض المخدرات بحذر شديد من قبل الأطباء لتسكين بعض الآلام(١٥) .

وعلى ذلك فالمخدرات : هى مواد تحتوى مكوناتها على عناصر من شانها اذا استعملت بصورة متكررة ، ان تأخذ لها فى جسم الانسان مكانا ، وان تحدث فى نفسيته وجسده تغيرات عضوية وفسيولوجية ونفسية ، بحيث يعتمد ويعتاد عليها بصورة قهرية واجبارية ، مما يؤدى الى الاضرار بحالته الصحية والنفسية والاجتماعية ، وهذا الضرر يلحق بالفرد نفسه وبأسرته وبالمجتمع الذى يعيش فيه كمدمن للمخدرات(١٦) . وتاثير هذه المواد يكون منبها للأعصاب ، طاردا للنوم ، وهذه المواد اما أن تكون فى صورة طبيعية (أى خام) أو مصنعة فى المعامل (تخليقية) ، وهى تستخدم بعدة طرق مثل : الشم أو الشرب أو المضغ أو الأكل أو الحقن أو التدخين(١٧) .

وهى أيضا المادة التى تؤثر على الجهاز العصبى المركزى وعلى النشاط العقلى للانسان ، وعلى حالته الصحية والنفسية(١٨) . كما يمكن تعريفها أيضا : بأنها كل مادة خام أو مستحضرة تحتوى على عناصر مسكنة أو منبهة ، من شأنها ، عند استخدامها فى غير الأغراض الطبية المخصصة لها ، وبقدر الحاجة اليها ، ودون مشورة طبية ، أن تؤدى الى حالة من التعود والادمان عليها ، مما يضر بالفرد والمجتمع .

---

(١٥) سعد المغربى ، مرجع سابق ص ٩

(١٦) محمد بن ابراهيم الحسن ، المخدرات والمواد المشابهة المسببة للادمان ، الرياض ، ١٩٨٨ م ، ص ١٣

(١٧) سامى مصلح ، رحلة فى عالم المخدرات ، القاهرة ، دار البشير للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ ، ص ٩

(١٨) فؤاد بن حسن الملاح ، وأحمد بن على العسيرى ، المخدرات طرق تهريبها وأساليب مكافحتها ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٥

وغالبا ما تكون مركبات كيميائية تستخرج من النباتات الخضراء أو الفطريات . وعموما فان المواد التى تخدر الانسان ، وتفقده الوعى ، وتغيب ادراكه ، ليست كلها نوعا واحدا ، وانما هى بحسب مصادرها وأنواعها كثيرة ومتنوعة .

ومن المفيد ايضاح المفاهيم والتعاريف ذات الصلة بالمخدرات :

● **الادمان :**

لا تقصد بكلمة الادمان (Addiction) على عقار ما ، مجرد الاعتياد ، أو طول مدة الاستعمال ، وانما تعنى تكوين عادة قوية وملحة ، تدفع المدمن الى الحصول على العقار ، وبأى وسيلة مع زيادة الجرعة من وقت لآخر ، مع صعوبة قد تصل الى حد الاستحالة فى الاقلاع عنه ، وذلك لاعتماد نفسيته ، وعمل بعض الأنسجة على وجود العقار ، ولهذا يطلق على الادمان كلمة الاعتماد وعلى العقار (Drug dependance) وليست كل العقاقير مسببة للادمان ، فهناك عقاقير مهما تعاطاها الفرد ، يستطيع أن يمتنع عنها فى أى وقت ، وثمة عقاقير أخرى لو استخدمها الفرد مدة كافية ، لا يستطيع الاقلاع عنها ، بل يشعر برغبة شديدة على تناولها ، ويضطر الى زيادة الجرعة من وقت لآخر(١٩) .

ويعرف الادمان : بأنه استعمال لمواد مخدرة بصفة مستمرة ، وبدون أسباب طبية ، وبشكل دائم ، بحيث يصبح المرء معتمدا عليها نفسيا وجسمانيا ، أو كليهما معا ، ولا يستطيع العيش بدونها ، حتى ولو حاول ذلك ، والادمان يمكن أن يكون للمشروبات الروحية والمخدرات أو للأدوية النفسية المهدئة ، أو المنومة أو المنشطة(٢٠) .

---

(١٩) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، القاهرة ، الزهراء للاعلام ، ١٩٨٦ ص ١٥

(٢٠) درى حسن عزت ، الطب النفسى ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٣

ويعرف ايضا بانه الحالة النفسية او العضوية التى تنتج عن تفاعل الكائن الحى مع العقار ، وهو : حالة من التسمم المزمن الناتج عن الاستعمال المتكرر للمخدر(٢١) .

ويرى بعض الباحثين المهتمين بدراسة مشكلة الادمان انها تعتبر ظاهرة اجتماعية ، لأنها تعتبر من الأمراض الخطيرة التى تتركز فى أعماق المجتمعات الانسانية ، ويرجعون ذلك الى أن فئات المدمنين هذه ، غالبا ما يشعرون بالنقص تجاه اشباع حاجاتهم بطرق مشروعة ، فيلجئون الى الانحراف ، واتباع بعض الأساليب غير المشروعة ، هروبا من مجابهة الواقع الاجتماعى الذى يعيشون فيه(٢٢) .

وعلى الرغم من قلة عدد المدمنين على العقاقير المخدرة عند مقارنته بعدد الكحوليين فى جميع أقطار العالم ، فان مشكلة ادمان هذه العقاقير تكاد تكون أشد خطرا على الصحة الجسمية والنفسية والعقلية للمدمنين ، هذا بالاضافة الى انها مشكلة كبيرة بالنسبة للسلطة العامة ، سواء من حيث مكافحة الاتجار بهذه المواد السامة ، أو منع تداولها ، او من حيث الوقاية والعلاج بالنسبة للمدمنين عليها(٢٣) .

فالادمان مرض يصيب الانسان رغم ارادته ، لا أحد يريد أن يكون مدمنا للمخدرات ، ونقصد بالمدمن : الفرد الذى لا يستطيع أن يقوم بعمله الا بعد أن يتناول مقدارا مناسبا من المخدرات المعتاد عليها ، ونتيجة لذلك : فان عمله وانتاجه يقل ويتدهور شيئا فشيئا .

والاتجاه العام فى موضوع الادمان : انه عرض او صورة لاضطراب

---

(٢١) سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ، ٢٤

(٢٢) John A. clausenr, Drug Addiction in Robert K. Morton and Pobert A.Nibet ed 2 Contemporay Social Problems N. Y. 1979 p. 236.

(٢٣) عدنان الدورى ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامى ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٥

فى الشـخصية ، تبدأ من الطفولة ، ولهذا فهو يعتبر ستارا لمرض نفسى أو عقلى ، يخفف من الاضطرابات ، والارتباك الداخلى للجهاز النفسى لفترة من الزمن ، ولكنه يمهد تدريجيا الى الانتحار العقلى ، أو الى الانتحار البطىء أو الى مرض عقلى مزمن(٢٤) ٠

ويرى علماء الاجتماع : أن الادمان سلوك يتعلم ، وأن الناس يتعلمون كيف يصبحون من المدمنين ، وهم يرفضون الرأى القائل : بوجود عناصر فى الشخصية ، أو استعدادات فى الطفولة تهيىء للادمان ، ويرون : أن أولئك الذين ينادون بأن المدمنين لهم تكوين خاص فى الشخصية ، يقومون فى العادة بدراسة المدمنين بعد أن يستفحل معهم الادمان ، وكل ما يقال عن شخصيات هؤلاء المدمنين قبل ادمانهم ، ما هو الا تخمينات ، غالبا ما تكون غير حقيقية ٠

ويقول : « لند سميث » وهو من علماء الاجتماع ، فى ذلك : أن من يستعمل المخدر يصبح مدمنا بعد أن يمر بخبرة الحرمان ، وبالتالى يتعلم أن التعاطى يزيل الأعراض التى يعانى منها ٠

كما أكد فينستون فى دراسته التى أجراها فى نيويورك ، على أن الثقافة الفرعية للمدن غالبا ما تكون فى مناطق المدينة التى تتميز بالحرمان الاقتصادى ، والتفكك الأسرى ، والحرمان ، مع عدم وجود الضبط الكافى من الكبار ٠

ويرى مورر وفوجل : أن مدمنى الأفيون وغيره من المركبات ، لا يتعاطاها المدمنون للحصول على النوم أو للتخفيف من الحاجة الفسيولوجية ولكن لمجرد الحصول على الفرفشة والتخدير لذاته ٠

والادمان عندهما : عرض لمرض توجد بذوره فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى تؤدى الى عدم الشعور بالرضا والتعاسة والتوتر(٢٥) ٠

---

(٢٤) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، مرجع سابق ص ١٦ ، ١٧
(٢٥) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، مرجع سابق ص ٢٨

كما ثبت فى الدراسة التى أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن تعاطى الحشيش فى مصر ، أن ظاهرة الادمان ترتبط بالفقر والحرمان ، كما أن عدد المدمنين من غير المتعلمين كانت لهم الأولوية ، وكان المدمنون ينتمون الى طبقات محرومة اقتصاديا واجتماعيا ، كما أن معظمهم ممن يعملون بأعمال مهنية معينة(٢٦) . ولذلك يرجع الادمان الى الظروف الاجتماعية التى يعانى منها الفرد ، من خلال الواقع الاجتماعى ، الذى يتعايش معه ، ويرجع البعض الادمان الى مرض جسمى . عن طريق اضطرار الأطباء اعطاء المريض أدوية مخدرة مثل المورفين لتخفيف الآلام الشديدة ، أو عقب العمليات الجراحية ، أو الجروح الخطيرة ، والغالبية العظمى من هؤلاء المرضى لا يقعون ضحية الادمان ، ذلك أنهم بمجرد شفائهم لا يعودون اليه .

أما أولئك الذين يعزون تورطهم فى الادمان الى استخدام الأدوية المخدرة خلال فترة المرض ، فانهم عادة ما تظهر عليهم عيوب أو نقائص فى الشخصية ، تدفعهم الى ذلك ، ومن هذه العيوب محاولة الهروب من الحقيقة بالانغماس فى ادمان المخدرات .

وأحيانا ما يقع أفراد المهن التى تستخدم المخدرات ضحايا ادمانها مثل الأطباء والصيادلة والممرضات (٤٠٪ ممن يعملون فى هذه المهن يتعاطونها) وقد يدفعهم الى ذلك حب الاستطلاع ، ولكن فى أغلب أحوال الادمان يكون السبب سوء التوافق الذى يعانى منه الفرد ، ويكون تعاطى المخدرات تخفيفا مما يعانيه من القلق الناتج عن الظروف البيئية ، مثل المتاعب الزوجية أو الطلاق ، وعادة ما يجد هؤلاء الأشخاص أنفسهم وقد تكون لديهم الاعتماد الفسيولوجى ، دون أن يدركوا أو يفهموا ، كيف تطور الأمر الى ذلك بالنسبة لهم . وهؤلاء لا يحصلون على الارضاء السيكولوجى من تعاطى المخدرات ،

---

(٢٦) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، تعاطى الحشيش ، دار المعارف ، ١٩٦٠

فعندما تتحسن أحوالهم ، يكون فى استطاعتهم العودة الى الحياة العادية بعيدا عن الادمان(٢٧) .

وتؤكد لجنة الخبراء التابعة لمنظمة الصحة العالمية أن الادمان لا يقتصر على سبب اجتماعى دون نفسى ، الا انه تتعدد الأسباب بالنسبة للادمان ، وقد أجملته فى عدة أسباب منها :

- أن شخصية المدمن يكون بها خلل راجع الى عيوب شخصية ، اذ أنه يريد أن يلبى حاجاته ورغباته بأسرع وقت ممكن دون التمهل ، بصرف النظر عما يترتب على هذا السلوك .

- مرور الفرد بأزمات نفسية نتيجة ما يعانيه من ضغوط اقتصادية أو عائلية ، أو بسبب بعض الاضطرابات النفسية التى تنتابه نتيجة عدم قدرته على تحمل ما يمر به من أزمات مختلفة فى بيئته الاجتماعية .

- بعض المعتقدات الخاطئة : بأن المخدر سوف يجلب للانسان قدرة خارقة ، بأعطائه نشاط ذهنى وعلمى قوى وكاسح .

- شعور البعض انه عن طريق تعاطى جرعة مخدرة سوف تجعله يشعر بنوع من السعادة والنشاط والحيوية .

وقد يكون الادمان نابع عن تمرد الانسان على واقعه الاجتماعى ، بما فيه من قيم تحكم سلوكه . وفى بعض الأحيان ينتج عن آلام حادة يعانى منها الفرد نتيجة اصابته فى حادث ، أو بمرض مزمن(٢٨) .

ومن أهم أعراض الادمان : عدم التمتع بالنوم العميق الكافى ، وغالبا ما يكون النوم مصحوبا بالكوابيس والأحلام المفزعة ويصاب

---

(٢٧) عباس محمود عوض ، فى علم النفس الاجتماعى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ص ٢٦١ ، ٢٦٢

(٢٨) World Health organization Expert Committeeon Drug Dependence who Teehnical Report, No 460 (Geneva : World Health organization 1970. pp. 11 — 12.

المدمن بسرعة التحول فى الحالة المزاجية ، ويثور بسرعة لأتفه الأسباب، ويعامل من حوله ، خاصة أفراد أسرته بقسوة ، ويعترى العطب ذاكرته ، ويهمل مظهره ، ولا يلوم المدمن نفسه ، ولكنه يلقى باللوم على من حوله للحالة التى وصل اليها ، ويتشكك المدمنون فيمن حولهم ، وتقل قدرتهم على العمل ، وتعترى الرعشة أيديهم ، مما يضطر من يعمل منهم فى الصناعات الدقيقة الى ترك العمل(٢٩) .

وأخيرا فالادمان هو نوع من أنواع التعود المستمر لأنسجة جسم الانسان على مادة مخدرة ، اذا لم يتم تعاطيها ، يشعر الفرد بأعراض جسمية ونفسية مؤلمة ، ولهذا يلجأ الى استعمالها مرة أخرى ، لكى تساعده على الاحتفاظ بمشاعر الراحة المؤقته ، ولهذا فالادمان يعتبر مرضا مزمنا يؤثر تأثيرا سلبيا على الفرد من الناحية الصحية والاقتصادية والوظيفية(٣٠) .

ولا بد هنا من التفرقة بين الادمان والتعود ، ولو أن هيئة الصحة العالمية رأت أخيرا الغاء لفظ الادمان ، واستبداله بالتعود ، حيث انه عندما لا يزيد المعتاد على عقار ما ، الجرعة التى تعود عليها لعدة سنوات ، فانه لا يصاب بأية أعراض جانبية عند توقفه عن تعاطيه(٣١) .

ويفسر البعض التعود بأنه : الحالة التى يتشوق فيها الفرد الى تعاطى المخدر ، بسبب ما يحدثه من شعور بالراحة ، وهذا التشوق ليس وراءه قوة مكرهة (Forced Power) ومن خصائصه :

---

(٢٩) سعد جلال ، الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية ، الكويت ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥٨

(٣٠) Howard E. Freenan , Hand book of medical Sociology Englewood Prentice Hall 1965, p. 127.

(٣١) أحمد عكاشة ، الطب النفسى الاجتماعى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٤ ص ٣٥٣

١ ـ استمرار استعمال المخدر ، والرغبة فى تناوله ، لما يسببه من شعور بالراحة .

٢ ـ عدم تناول جرعات زائدة .

٣ ـ يحدث قدرا معينا من الاعتماد النفسى ، ولا يحدث اعتمادا عضويا .

٤ ـ أضرار المخدر عكسية على المتعاطى ولا يضار منها المجتمع(٣٢) .

* * *

● **الاعتماد** (Dependance) :

لا بد من القاء الضوء على معنى الاعتماد ، اذ أن البعض يخلط بين العادة (Habit) ، التى هى مجرد ميل الى القيام بأحد الأفعال ، بحيث يصبح بالتكرار ، له قدر من الاستمرار شبه الآلى ـ والاعتماد .

ويرى البعض : عدم وجود فرق بين عادة شرب اللبن فى الافطار ، وعادة شرب القهوة ، مع أن الاعتماد يتضمن أكثر من مجرد وجود صلة بين استجابة صريحة ، ومنبه حسى معين .

ومن المعروف أن مرحلة « تعليم الاعتماد » قائمة وموجودة ، وهى عبارة عن ارتباط بين حدث حسى ، وسرور تال له ، حيث يشعر الفرد أثناءه ، أنه فى سلام مع العالم ، بعد تعاطى العقار .

وقد أمكن القاء المزيد من الضوء عن طريق احدى التجارب التى قام بها سبراج (Spragg) عام ١٩٤٠ ، لاعتماد عدد من الشامبانزيات على المورفين ، فقد أثبتت هذه الدراسة : وجود فرق بين الحاجة الفسيولوجية لاحدى المواد ، وبين الاعتماد عليها(٣٣) .

---

(٣٢) سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، مرجع سابق ص ٢٢ ، ٢٣

(٣٣) مصطفى أحمد تركى ، دراسات فى علم النفس والجريمة ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٨٦ ص ١٨٣

ويمكن تقسيم مرحلة الاعتماد الى عدة اقسام :

أولا ـ الاعتماد النفسى :

وهى الحالة التى تنتج عن تعاطى العقار ، وتسبب الشعور بالارتياح والاشباع ، وتولد الدافع النفسى لتناول العقار بصورة متصلة ، أو دورية « غير متصلة » لتجنب الشعور بالقلق أو لتحقيق اللذة

ثانيا ـ الاعتماد العضوى :

وهى الحالة التى ينتج عنها تكيف ، وتعود الجسم على العقار ، مما يؤدى الى ظهور اضطرابات نفسية وعضوية شديدة عند المتعاطى ، وخاصة عندما يمتنع عن تناول العقار بصورة مفاجئة ، وهذه الاضطرابات ، أو الامتناع المفاجىء ، يسبب ظهور صور من الظواهر والأعراض النفسية والجسمية المميزة لكل فئة من العقاقير(٣٤) .

ومن العقاقير المسببة للاعتماد النفسى ، المنشطات ، والكوكايين والقنب ، وعقاقير الهلوسة ، والقات ، والتبغ ، والمسكنات ، والمستنشقات .

أما العقاقير التى تسبب الاعتماد النفسى والعضوى فهى المنومات ، والمهدئات ، والأفيون ومشتقاته ، والخمر .

ثالثا ـ الاعتماد الاجتماعى :

وهى الحالة التى ينتج عنها تناول عقار ما فى مناسبات اجتماعية معينة ، مثل الأعياد أو حفلات الزواج .. الخ . وهى عادة ، غالبا ما تتبع بغرض الشعور بالسعادة أو المتعة .

رابعا ـ الاعتماد اللااختيارى :

وهى الحالة التى ينتج عنها اعتماد الفرد على نوع معين من العقار ، بسبب ظروف طبية ، وهذه الحالة تكون خارجة عن ارادة الفرد(٣٥) .

---

(٣٤) سلسلة كتب مركز ابحاث مكافحة الجريمة ، الكتاب الرابع ، مرجع سابق ص ٢٣

(٣٥) Hoddon B. ; Social Research, Substance Abuse, The international J of the Addiction N. Y. 1983 pp. 26 - 30.

خامسا ـ الاعتماد الامفيتامينى (العقاقير المنبهة) :

وهى من العقاقير التى تنتمى الى مجموعة مواد طبيعية أو مصنعة ، تؤثر عند استعمالها على الجهاز العصبى المركزى عنـد الانســان ، ومن ثم تؤثر على نشـاطه العقلى ، والمقصـود بالعقاقير المخدرة هنا ، هى تلك المركبات المستخلصة من مادة الأفيون (Opium) الذى يستخرج من نبات الخشخاش ، الذى يرمز له كيماويا باسم: (Papver Somni Forum) ومن أهم مركبات الأفيون : المورفين (Morphine) ، والكودين (Codine) والناركوتين (Narcotine) ، والبابافرين (Papaverine) ، والتبـين (Thebain) ، أما مادة الهيروئين (Heroin) التى يشيع استعمالها بين المدمنين على نطاق واسع ، فهى احدى المواد المستخلصة من مادة المورفين ، بعـد اضـافة بعض المواد الكيمائية اليها .

ومثل هذه المواد هى التـى تسـبب حالة الادمان (Addiction) وهى مواد حافظة للنشـــاط والحيوية بوجه عام ، ولذلك فهى تختلف عن بعض العقاقير المنشـــطة ، أو المنبهة للمراكز العصبية العليا(٣٦) . التى تتميز بالقدرة على الانعاش ، وجلب الاحساس بالرضا عن الأحـوال المحيطة بالمتعاطى ، وهـذه الخصائص هى السبب فى الاقبـال عليها ، وانتشـار استعمالها كعقاقير منبهة ، وكعلاج للحد من الشهية للطعام ، بقصـد انقاص الوزن .

وتناول كميات ضخمة من الأمفيتامينات عن طريق الفـم لا يســبب الوفاة ، ولكنه يقوم باحداث تغييرات جوهرية فى الســلوك النفسى ومنها الوهم والهلوسـة . وظهور هـذه الآثار يكون أكثر قوة فى حالة تعاطى الامفيتامنيات بطريق الحقن فى الوريد ، والتى من شانها احداث تخيلات عقليـة سريعـة ، تؤثر غالبـا فى الوظائف الجنسـية .

---

(٣٦) عدنان الدورى ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامى ، مرجع سـابق ص ١٩٨ ، ١٩٩

وقد انتشرت فى الآونة الأخيرة فى نطاق كبير من الدول وذلك لتعاطيه دون استشارة طبية ، وفى بعض الأحيان ، يلجأ اليها البعض لمقاومة الارهاق ، فى المواقف التى تتطلب منهم جهدا جسمانيا شاقا ، أو لمواصلة النشاط العقلى لفترة طويلة بدون نوم أو راحة ، ومن ثم يتناولها بعض الطلبة مسيئين استعمالها اثناء فترة استعدادهم للامتحانات .

ويمكن تلخيص خصائص الاعتماد الامفيتامينى على الوجه الآتى :

١ ـ اعتماد نفسى متعدد الدرجات .

٢ ـ انتفاء الاعتماد الجسمى . ولا تظهر أعراض الانقطاع عند تعاطى الامفيتامينات . غير أن منعها يستتبعه حالة من الاضطراب الجسمى والنفسى ، لتحرر الجسم من حالة التنبه الشديد والمستمر التى كان يعانى منها اثناء تناولها .

٣ ـ ظهور المناعة ببطء ، وبدرجة عالية ، ضد عدد كبير من تأثيرات الامفيتامينات الا أن مكونات الجهاز العصبى لا تكتسب هذه المناعة بدرجة واحدة (٣٧) .

● الفطام (Abstentibus) :

وهى ايقاف تناول المخدر عن المدمن ، وهى عملية اجبارية تتم فى المصحات العلاجية أو المستشفيات ، عن طريق اتباع علاج خاص لمنع ظهور ما يترتب على التبعية الجسدية للمخدر من اضرار أو ما يعرف بعوارض النقص .

● الاحتمال (Tolerance) :

ويعنى قلة التجاوب مع مفعول المخدر نتيجة لتناوله بصورة متكررة ، أو يفسر على أنه تكيف الجسم مع مفعول المخدر ، بحيث يقتضى زيادة الجرعة للحصول على النتيجة المرغوبة (٣٨) .

* * *

---

(٣٧) حسن فتح الباب ، سمير عياد ، المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية ، مرجع سابق ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٣٨) سلسلة كتب مركز ابحاث مكافحة الجريمة ، الكتاب الرابع مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٣